النشوء والارتقاء دائرة عليها فلا يحصل الاقناع فيها الاّ ببراهين مستخرجة من هذه العلوم او مبنيّة عليها ولا يفهم الاّخذ والرد في الجدال عنها الاّ بدرس هذه العلوم درساً مدققاً . ولعلم الحيوان قيمة عظيمة بقطع النظر عمّا تقدم وهي لزومه في علم التشريح البشري والفسيولوجيا لما بينهُ وبينها من علاقة التوضيح والتكميل

هذا وكلٌّ من درس الطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا يستسهل درس التاريخ الطبيعي وإدراك ما سهل وما عسر فيهِ الاّ ان العقل قاصر عن الاحاطة بجميع تفاصيلهِ واخذهِ بحذافيرهِ لما ينطوي تحتهُ من القضايا المتعددة والابحاث الواسعة . ولذلك يتحرّى ذوو الدراية والخبرة في التعليم والتهذيب انتقاء احسن القضايا التي يعوّل عليها وجمعها معاً على وجهٍ يؤدي الى ذهن الطالب خلاصة تلك العلوم على اسهل منوال فيحصّلها الطالب في زمانٍ معتدل ولا يقضي ايامهُ على استيعاب مفرداتها التي لا حدَّ لها ولا عدّ . ويجب في تعليم هذه العلوم الانتباه التام الى تمرين الطالب على الطريقة التي تميزت بها اي التقسيم والترتيب حتى ترسخ صورتها واضحةً في ذهنهِ لانها من الزم الامور في كل ما تعدّد وكثرت تفاصيلهُ من العلوم كالطب والشرع والجغرافيا والتاريخ بل ان صراحة الافكار ووضوحها لا يكونان على ما يرام ان لم يحسن ترتيبها وتنسيقها ولو فاقت في بلاغة الجُمَل ووضوح العبارة اذ الترتيب لازم لها لزوم وضوح العبارة وبلاغة الانشاء . واحسن منوال للترتيب والتنسيق المنوال المستعمل في التاريخ الطبيعي وهو الذي سبقت الاشارة اليهِ

وينتقل من هذه العلوم الى علم الجغرافيا وهذا يفوقها في الشمول وكون جلّ البحث فيهِ عن المحسوسات لا المجرّدات . وهو يستقي من بحر كل علم من العلوم تقريباً ولذلك يتوهّم دارسهُ انهُ حاوٍ لكل العلوم وانهُ مفتاحها والصحيح انهُ حاوٍ لمعارف كثيرة عمليّة وانهُ اساس علم التاريخ وفيهِ وصف ما لا يُحصى من الصور والمناظر التي ترتسم في خيال دارسهِ فتطربهُ نزهةً وتسكرهُ لذةً وتكاهةً

العلوم العقليّة

وهي الفلسفة العقلية وعلم المنطق

اما الفلسفة العقليّة وتعرف ايضاً بالسيخولوجيا فعلمٌ يُبحَث فيهِ عن طبيعة العقل وتركيبهِ والنواميس المتسلّطة عليهِ . والناس يسلمون بلزوم معرفة هذه الامور ولكنهم لا يطلبونها في بابها الاّ نادراً ولذلك ترى الذين يعتنون بدرس العقليّات قليلين . وغالب الناس يكتفون بما

يتعلمونهُ من ابواب أُخرى مثل الاخبار والامثال والحكم والنوادر والتواريخ والخطابة والروايات وما شاكل . فهذه لا ريب في ان الانسان يحصّل منها ما لا يحصى من المعارف . الاّ ان المعارف التي يحصّلها يكون بعضها ملتبسًا وبعضها قبيحًا وليس لتحصيلها طريقة يتثقّف بها العقل ويُدرَّب كما يتثقّف بطرائق العلوم التي ذكرناها . وكثير منها يظهر عند التحقيق مبنيًّا على الخطإ فاسدًا في المآل وتحقيق ذلك من جملة الغايات المقصودة من الفلسفة العقلية

والابتداء بدرس الفلسفة العقلية يكون بعد تثقيف العقل وتوسيعهِ بالعلوم الرياضية والطبيعية السابق ذكرها لان درسها حينئذٍ يفيد العقل اعظم فائدة بما لها من التثقيف الخاص بها وبما فيها من المعارف العقلية الكثيرة . ولا يخفى ان قضايا كثيرة مما يشتغل بهِ ذوو الالباب اصلها راسخٌ في عقل الانسان ومنهُ منشأُها فلذلك يؤمَّل ان يكون التبحُّر في هذا العلم ذريعةً الى حلّ مشكلاتٍ عديدة . الاّ ان الاهواء والاغراض كثيرًا ما اضلّت الناس عن ان ينهجوا فيهِ نهجًا قويمًا فكان ذلك عائقًا في سبيل تقدُّمهِ ولذلك تجدهُ قاصرًا عن غيرهِ من العلوم في الكمال والإتقان

وأما علم المنطق فمستقلٌّ عن الفلسفة العقلية وشأنهُ معروف لشيوعهِ في المشرق اكثر من غيرهِ من العلوم المتقدم ذكرها . وتدريسهُ معها ضروريٌّ لانهُ يحوّل النظر في كل علمٍ منها الى ملاحظة الطريقة الخاصّة بهِ في تثقيف العقل وتهذيبهِ . ولانهُ ينبّه المعلم الى الالتفات الى ذلك حين يلهو عقلهُ بالمعارف المتضمّنة في العلم الذي يدرّسهُ . ولذلك لا يحطُّ المدرّس اذا جعل الدرس بعد تدريسهِ له على صورة منطقيّة لتبلغ قوة التهذيب التي فيهِ الى عقل الطالب بادراكهِ تلك الصورة كما تبلغ المعارف التي فيهِ الى عقلهِ بحفظهِ لها

هذا وما تقدم عن العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية في هذا الجزء والجزءين اللذين قبلهُ عامٌّ للعلوم النظرية او العلوم التي بها معرفة الظواهر الطبيعية . وقد ذكرنا ما تضمنتهُ تلك العلوم من الفوائد في تثقيف العقول وتزيينها بالمعارف . واما الغايات من ذلك كلهِ باوغ العقول الى اعتناق الحق الذي هو غرضها وخضوعها لهُ والاقامة على عهدهِ وحفظ ولائهِ . وموالاة الحق تقتضي الصدق في القول والفعل والصدق فضيلة ممارستها واجبة في كل الاعمال والاقوال والاحوال . ثم ان الانسان قد يكون بالفطرة أميل الى الصدق من غيرهِ فيلهُ هذا قلما يفيد اذا لم يقترن بمعرفة ما يتميز بهِ الصدق من الكذب كالامتحانات والتجارب ونحوها . ولذا تجد العلماء الخبيرين بتلك الامتحانات والتجارب لا يختلفون في ما هو مقرَّر وقلما يختلفون على ما هو واقعي او غير واقعيّ واختلافهم يقتصر على مسائل معيّنة قد انحصرت في دائرة ضيقة

وعسر البحث فيها

وبين متعلم هذه العلوم وجاهلها بون عظيم في اعتبار الامور فالاوّل يحلّل الامور التي ينظر فيها الى ما تركبت منه وهذا الى ما هو ابسط منه حتى يعيّن بسائطها ثم يستقصي احوال مركّباتها جاريًا على مبدإ التحليل الذي تعلمه اثناء تعلمه العلوم. واما الثاني فينظر اليها نظرًا عامًّا كانها جسمٌ واحدٌ. وتأثير ذلك يظهر مما اذا نظر الاثنان الى نظام مملكة من الممالك شامل لكثير من التدابير والاحكام فالاوّل اي المتعلم يحلّله الى مشتملاته فيميّز بين الحسن منه الصالح لنماء الامّة وزيادة راحتها ورفاهتها وبين الرديء الآيل الى خراب الامّة وتعاستها فينبّه عليه ويشير بتغييره او اصلاحه بما يحسن به مآله وبين ما لا يضرّ ولا ينفع فيبدي حكمه فيه. بخلاف الثاني اي الجاهل فانه يعتبر النظام كلّه صورةً واحدةً فيحكم عليه حكمًا واحدًا بالنفع او بالضرر

علاقة هذه العلوم بفنون الأدب

بقي علينا ان نبيّن علاقة هذه العلوم بالفنون المصطلح عليها عند اهل المغرب وهي الشعر والتصوير والموسيقى والبناء والحفر. فنقول ان لهذه العلوم فوائد ومضارّ فمن فوائدها اولاً انها تعصم الانسان عن الخطإ وتدله على الصواب ولذلك تحفظ المشتغل بالفنون من ان يبعد عن الحق بعدًا منكرًا ويقيه في تيّهات الباطل. فهي تنقي الفنون من هذه الشائبة وتقلّل الشطط فيها اذ من دأب المشتغل بالفنون مباعدة الخيبة مطاوعةً لموّى في النفس او صورة في المخيّلة لا تقف غرابتها عند حدّ

وثانيًا ان العلوم تجود دومًا باكتشاف الحقائق الجديدة والنواميس الخفيّة وبالآراء المستحدثة ونحو ذلك ممّا يؤثر في العواطف تأثيرًا متفاوتًا في الشدّة والضعف. وكلّ ما يؤثر في العواطف يدخل ضمن دائرة الفنون وعليه فالعلوم تهيئ للفنون اشكالاً والوانًا من جديد المواد ألا ترى ان الاكتشافات التي اكتشفها علماء الفلك عن حركات الكواكب وارتباط اجرام السماء وابعاد الفضاء وعظمة الكون وعجائب قواه تتضمن من البدائع ما يعشق اسمى عواطف النفس واقوى اميالها. أوَلا ترى ان الاكتشافات التي اكتشفها علماء الطبيعيات وغيرها جاءت باعجب ما يحير العقول واغرب ما يتغنّى بوصفه الشعراء. ونتيجة ذلك اتقان الشعر ورفع منزلته وتقريب العلوم الى النفس والقلب بما تكسوها اياهُ الفنون من اثواب الحسن والبهاء

ومن مضار العلوم ان منهجها يخالف منهج الفنون بل ربما كان بين الاثنين تضادّ فطريقة العلم التحليل والتفريق وطريقة الفنون ولاسيّما الشعر الضم والجمع والعلم يعبّر فيه عن معانٍ مجرّدة بالفاظ اصطلاحيّة ينفر منها ذوق المشتغل بالفنون. والحقائق العلمية تقتضي التدقيق والتزام

الحدود المعينة والشعر وغيرهُ من الفنون بشترط فيها ان يطلق العنان للتصوُّر والتخيُّل ولو بعض الاطلاق حتى تكمل اللذة وتزيد الطلاوة . فالعلوم تصدُّ العقل عن ذلك وتكبح عنانهُ فتقلّل من اللذة والطلاوة المطلوبتين

فاذا قابلنا بين ما تقدَّم من منافع العلوم ومضارّها حكمنا ان المشتغل بالفنون يجب ان يثقّف ويهذّب بالعلوم ليكون ذلك تمهيدًا له في فنهِ ولا يلزم ان تبقى التصورات العلمية شاغلةً لعقلهِ لئلاّ تلهيهِ عمّا يعهد في الفنون من طلاوة الغريب والرغبة في العجيب

راس المال

ادرجنا في اوائل السنة التاسعة من المقتطف[1] ثلث مقالات في علم الاقتصاد السياسي اتينا فيها على تعريف المال عند علماء الاقتصاد وعلى بيان انسب الطرق لانفاقهِ وتحصيلهِ وبيان اسباب الكسب والتحصيل الثلثة . وهي الارض والعمل وراس المال . وفصّلنا الكلام هناك على الارض والعمل واجملناهُ على راس المال . وقد ذكرنا في هذه الاثناء اثنين من مشاهير رجال مصر[2] فعلمنا منهما ميل القرّاء الى هذا العلم فاردنا استطراد الكلام الى غير ما ذكرنا حتى نقتطف اشهر مبادىء هذا العلم مبتدئين براس المال فنقول

رأس المال قطعةٌ من المال يقصد بها ربح مالٍ آخر عليها فهو اخصُّ من المال لانهُ يشترط فيهِ الاستعمال للربح فكلُّ راس مالٍ مالٌ ولا بعكس . مثال ذلك ما اذا كان عند عامل قوت يتقوَّت بهِ او مال يبتاع بهِ قوتهُ فهذا القوت مال ولكنهُ لا يُعدُّ راس مال اذا تقوَّت بهِ صاحبهُ وهو لا يعمل عملاً يتكسَّب بهِ وانما يعدُّ راس مالٍ اذا تقوَّت بهِ وهو يعمل ما يتكسَّب بهِ كبناء بيت او حفر بئر او حرث ارض او نحو ذلك من الاعمال التي تقلّل عنهُ التعب وتعود عليهِ بالنفع

واعظم منافع راس المال تخفيفهُ للتعب في قضاء الاعمال فاذا اراد رجلٌ ان يستقي الماء لبيتهِ من بئر مثلاً وكان راس مالهِ قليلاً فانهُ يبتاع بهِ دلوًا وحبلاً فيلقي الدلو ثم يرفعها ويحملها على عاتقهِ الى البيت . فاذا زاد رأس مالهِ عن ذلك اشترى وعاء كبيرًا وعجلةً ثم ملأ الوعاء ونقلهُ على العجلة الى بيتهِ . وذلك اقلُّ تعبًا من حمل الدلو بعد الدلو على عاتقهِ زمانًا كما لا يخفى . واذا

(١) انظر وجه ١٠ و ٩٧ و ١٢٩ من السنة التاسعة من المقتطف

(٢) هما دولتلو رياض باشا وعطوفتلو عبد الرحمن باشا رشدي ناظر المعارف والاشغال العمومية